من فوق منبر الإسلام

معجزة الإسراء والمعراج

بقلم فضيلة الشيخ
عبد العاطى محمد على
مدير المكتب الفنى
للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين ولى المؤمنين الصادقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اصطفى أنبياءه وأكرم أولياءه ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، الذى شرفه الله بالإسراء والمعراج لينال بهما أعلى المقامات ويشاهد فيهما ملكوت الأرض والسموات ، فصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد صاحب المعجزات وعلى آله وأصحابه البررة الأعلام ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

سورة الإسراء ١

أيها المسلمون : لاشك أن حادثتى الإسراء والمعراج تكريم عظيم اختص الله بهما الرسول صلى الله عليه وسلم من دون الرسل والأنبياء وذلك لفضله ومكانته عند الله وعند

المؤمنين فهو النبي الخاتم والشهيد على أمته وعلى الأمم قبلها وأول شافع وأول مشفع وأول من يفتح أبواب الجنة وصاحب الكوثر قال تعالى « إنا أعطيناك الكوثر » فلا غرابة أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم رفعه فوق السبع الطباق إلى سدرة المنتهى لينال مقام القرب من ربه والسعادة بمناجاته دون واسطة . والسرور بآيات ربه الكبرى .

أيها المسلمون : فى عام الإسراء والمعراج حزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا فقريش فرضت عليه حصارا فى شعاب مكة ، وهاجر منها أصحابه هربا بدينهم ، وأعلن فريق ثالث مقاطعتهم لهذا الدين . واشتد البلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم. الله وحده إليه المشتكى ولا ملجأ إلا إليه ولا كاشف الضر إلا هو . وزاد البلاء عليه حين ماتت زوجته خديجة التى صدقته حين كذبه الناس وأعطته من مالها حين حرمه الناس ورضيت به زوجا ورفضت الأثرياء وكانت له عونا على أداء رسالته ، فحزن الرسول لفراقها حزنا شديدا ولا أدل على وفائه للسيدة خديجة . أنه بعد وفاتها كانت إذا حضرت صديقة لخديجة قال عليه الصلاة والسلام : (أكرموها فإنها كانت تحب خديجة) فنعم الوفاء وفاء الزوج لزوجته ، وبعد وفاة أم المؤمنين خديجة بشهر ابتلى الرسول صلى الله عليه وسلم بوفاة عمه أبى طالب الذى كان يمنع عنه أذى أعدائه وكان الرسول عليه السلام يحفظ له هذا الجميل ، ولذلك كان يود أن ينطق عمه بالشهادتين قبل وفاته لعله ينجو من عذاب يوم القيامة ، ولأمر يعلمه الله لم ينطق بهما وفيه نزل قول الله تعالى (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

سورة القصص الآية ٥٦

أيها المسلمون : نجد البلاء يشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رأى استهانة قريش به فأراد أن يتوجه إلى ثقيف بالطائف يعرض عليهم الإسلام ويطلب منهم نصرته على قومه حتى يظهر أمر ربه ولما ذهب إلى ثقيف ردوه ردا قبيحا ولم يجد منهم خيرا ولم ينته الأمر إلى هـــذا الحد بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم ليقفوا فى وجهه ويرموه

بالحجارة حتى أدموا قدمه ، فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا ربه قائلا :

(اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك او تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) .

وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات فلما تضاعفت الشدائد وكثرت الأحزان وعظمت المحن أراد الله أن يسرى عن نبيه ، وأن يشرح صدره ويزيل همومه ويثلج قلبه ويريه الدلائل الباهرة والآيات الخارقة فكانت معجزة الإسراء والمعراج .

أيها المسلمون : لقد كان موقع هذه المعجزة من الأحداث التى تمر برسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الحين موقعا عظيما فكانت رحلة الإسراء والمعراج بعد ذلك تكريما من الله تعالى لرسوله ، وتقوية لعزيمته وثباته . وجاءت رحلة الإسراء لربط عقائد التوحيد من لدن إبراهيم وإسماعيل إلى محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : إن فى إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس دلالة على مدى ما ينبغى أن يوجد لدى المسلمين فى كل عصر وزمان من الحفاظ على هذه الأراضى المقدسة وحمايتها من مطامع أعداء الله . وكأن الحكمة الإلهية تهيب بالمسلمين أن لا يهنوا ولا يحبنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الأرض وأن يطهروها من رجسهم وأن يعيدوها إلى عهدها كما تسلمها عمر رضى الله عنه ، وإن وصف المسجد الأقصى بأنه (الذى باركنا حوله) فى أوائل سورة الإسراء ليرسم لنا مقدار البركة التى حفت بالمسجد حينما كان الأنبياء ينتظرون خاتمهم لكى يؤمهم فى صلاة جماعية تعبيرا عن الدور الذى جاءوا إلى العالم من أجله ، لقد كانت إمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنبياء فى المسجد

الأقصى دليلا على تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى فضل الصلاة فيه كما أن الإسراء والمعراج يذكرنا بفلسطين حيث المسجد الأقصى منتهى الإسراء ومبدأ المعراج وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين والذى سفكت فيه دماء عزيزة وأزهقت نفوس بريئة بأيدى اليهود الفجرة الآثمين فهل آن لنا أن نثوب إلى رشدنا ونتمسك بما رمز الله إليه بتلك الحادثة الكريمة من وحدة وارتباط وتكاتف وقوة وحياة كريمة وعزة دائمة وأن نذكر دائما ول الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

وهل آن لنا أيها المسلمون : أن نملأ قلوبنا بمحبة الله ورسوله مدركين أن النجاح والفلاح لا يكون إلا باتباع كتاب الله وسنة نبيه والسير على ضوء شريعته وأن ندرك دائما أن العاقبة للمتقين. وصدق الله إذ يقول: « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

الطلاق ٢ ، ٣

روى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (رأيت إبراهيم الخليل ليلة أسرى بى فقال : يامحمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة وأنها عذبة الماء وأنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ، وعن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة) .

رواه الطبرانى فى الكبير

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ؟